

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصَّيَامُ أَسْرَارٌ وَأَحْكَامٌ

الحمدُ للهِ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ، فَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ الصَّيَامَ؛ لِيُطَهَّرُهُمْ بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالآثَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يَقْبِلُ مِنْ عِبَادِهِ الْخَالِصَ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَيَرَفِعُ بِالصَّيَامِ لَهُمُ الدَّرَجَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، أَفْضَلُ مَنْ صَلَّى وَصَامَ وَأَدَى شَعَائِرَ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى كُلِّ مَنِ اهْتَدَى بِهِدْيَهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ: أُوصِيكُمْ وَتَنْفَسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ رِضَاهُ، وَأَهْنَكُمْ بِقُدُومِ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ، حَيْثُ الْأَجُورُ الْمُضَاعِفَةُ، وَالدَّعَوَاتُ الْمُجَابَةُ، فَهَنِئُوا لِأَمْمَةِ الْإِسْلَامِ، هَذَا الْفَضْلُ الْعَظِيمُ فِي كُلِّ عَامٍ. وَاعْلَمُوا - رَحْمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ الصَّيَامَ لِيُكُونَ دَوْرَةً عَمَلِيَّةً لِتَنْمِيَةِ النَّفْوَى، فَالصَّوْمُ يُعُودُ صَاحِبَهُ الْانْضِيَاطَ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ، فَلَا يَبْدُأُ صَوْمَهُ مَتَى شَاءَ، بَلْ فِي تَوْقِيتٍ مَعْلُومٍ، مَنْ تَجاوزَهُ لَمْ يَكُنْ صَائِمًا وَإِنْ زَادَ مِنْ سَاعَاتٍ إِمْسَاكَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَأَشْرُبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصَّيَامَ إِلَى أَلَيْلٍ﴾^(١)، إِنَّرَأَمَّ مِنْ بُزُوغِ الْفَجْرِ مَصْحُوبٌ بِنِيَّةِ الصَّوْمِ أَدَاءً لِلْوَاجِبِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصَّيَامَ - أَيْ مَنْ لَمْ يَعْزِمْ عَلَيْهِ - قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَا صَيَامَ لَهُ)، وَإِذَا بَدَأَتْ شَعِيرَةُ الصَّوْمِ فَإِنَّهَا تُرْبِيُّ الْمُسْلِمَ عَلَى فَضَائِلِ كَثِيرَةٍ، أَهْمَمُهَا الصَّبَرُ وَالْتَّحْمُلُ، وَبَذَلُ الْمَعْرُوفِ وَكَفُّ الْأَذَى، فَالصَّائِمُ يَصْبِرُ عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ رَغْمَ لَذَّتِهِ، وَيَتَحَمَّلُ الْجُوعَ وَالظَّمَاءَ تَرْبِيَةً لِنَفْسِهِ، فَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ عَنْ قَصْدٍ مَا دَامَ صَائِمًا، سَوَاءً كَانَ ذَلِكَ بِالطَّرِيقِ الْمُبَاشِرِ مِنَ الْفَمِ، أَوْ بِأَيِّ طَرِيقٍ يُؤْدِي إِلَى التَّغْذِيَةِ كَالْإِبَرِ الْمُغَذِّيَةِ وَنَحْوَهَا، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا تَنْمِيَةً لِلْقُدْرَةِ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ وَالصَّبَرِ وَالْتَّحْمُلِ، أَمَّا مَنْ اضطُرَّ إِلَى الْأَكْلِ أَوِ الشُّرْبِ

(١) سورة البقرة / ١٨٧ .

لسبب تتحقق به مصلحة المحافظة على النفس، فإن الله رفع عنْه الحرج كالمسافر والحامل والمريض الذي لا يقوى بدنُه على الصيام، قال سبحانة: «وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّهُ مِنْ أَيَّامِ أُخْرَى يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ»^(١)، وإن كان المريض لا يطيق صوماً ولا يرجو شفاءً من مرضه أجزأه الإطعام، «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةً طَعَامٌ مِسْكِينٌ»^(٢)، ومن يُسر الإسلام وسماته أنه لم يؤخذ غير القاصد المتعمد وإن فعل شيئاً مما نهي عنه الصائم كمن شرب أو أكل ناسياً، قال عليه السلام: ((من نسي فأكل أو شرب وهو صائم فليتّم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه)).

أيها المسلمين:

إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتلقنه، وإن إتقان عبادة الصيام لا يكون إلا بمعرفة أحكامها، حتى يؤدي المسلم هذه العبادة على بصيرة من أمره، ومن هنا كان الصائم مطالباً بالتفقه في دينه؛ لئلا تفسد عليه عبادته، أو ينتقض عليه صومه من حيث يشعر أو لا يشعر، فمن الأخطاء التي يقع فيها بعض المسلمين أنهم يسْتقبلون شهر رمضان بالضجر والاستياء، وما هكذا يستقبل المؤمن هذا الوافد العظيم، بل يسْتقبله بالفرح والابتهاج، والسرور والدعاء، وقد كان النبي ﷺ يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان، فيفرحون بقدومه، ويترقبون فيه للعبادة والطاعة، ومن هذه الأخطاء ترك طعام السحور مع أنه قد جاء الترّغيب فيه، يقول عليه السلام: ((تسحروا فإن في السحور بركة))، ومنهم من يُعجل السحور والسنة تأخيره ما لم يخش طلوع الفجر، وفي الحديث: ((لا يزال الناس بخير ما عجلوا الإفطار وأخرروا السحور)), ومن الأخطاء أن بعض الصائمين يقضون ليالي رمضان في القيل والقال وما لافائدة فيه مع أن ليالي رمضان مباركة يحسن بالمسلم أن يقضيهما في الصلاة والقيام والذكر والدعاء وتلاوة القرآن، وفيها يقول الرسول ﷺ: ((من قام رمضان إيماناً وأحسناً غير له ما تقدم من ذنبه)).

(١) سورة البقرة / ١٨٥ .

(٢) سورة البقرة / ١٨٥ .

إخوة الإيمان:

من الأخطاء التي قد يقع فيها بعض الصائمين التهاون في الصّلوات وبخاصة صلاة التراويح أو أداؤها بشيء من العجلة وكأنها حمل ثقيل وقد قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَشِعِينَ﴾^(١)، حتى صار بعض الناس يتسابقون إلى من عرف عنهم تخفيف صلاة التراويح بينما ترى المساجد الأخرى التي قد تطول فيها القراءة يقل فيها المصليون، ومن هذه الأخطاء الإسراف في إعداد الموائد وأنواع المأكولات وكأن شهر رمضان شهر مبارحة ومنافسة في الأكل والشرب، وربما كان هذا على حساب الصّلوات فقد يتاخر بعضهم عن صلاة المغرب بسبب تناوله لطعام الإفطار، أو يأتي متأثلاً لصلاة العشاء والتراويح.

فاتقوا الله - عباد الله -، ونفقوا في شرائع دينكم، وأدوا فرائض ربكم، واتبعوا سُنن نبِيِّكم ﷺ، وتعلموا أسرار عبادتكم، تذركوا كرامة دنياكم وسعادة آخر اکم. أقول قولي هذا وأستغفِرُ الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم، وأدعوه يستجب لكم إنه هو البر الكبير.

*** *** ***

الحمد لله الذي جعل الصوم من أعظم العبادات، وخص شهر رمضان بمزيد من الخير والبركات، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، أمر بتهذيب النفوس بالصيام، وتعويذها الفضائل بالقرآن والقيام، ﷺ وعلى الله وصحابه أجمعين، وعلى كل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد، فيما عباد الله: إن رمضان شهر الرحمة واللوئام والمغفرة، فكونوا أسرع الناس إلى الخير، وأوسع صدراً، وأرحم قلباً، وأبعد عن المخاصمة، اغفروا الزلة واظممو الغيبة، وتجاوزوا عن المخطئين، فتلك أسمى معاني الصيام التي يجب أن يترتبى الناس

عليها، قال ﷺ : ((من لم يدع قول الزور والعمل به؛ فليس الله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه))، وابتغوا بصيامكم وجه الله تعالى؛ لتحظوا بجزيل الثواب، ففي الحديث القدسي عن رب العزة: ((كُلْ عَمَلٌ ابْنَ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)).

فانقو اللہ - عباد اللہ -، واغتنموا الوقت في هذا الشہر، فی رمضان کنو ز غالیۃ، فلا تضيئوها بما لا فائدة فيه، فإنکم لا تدرؤون متى ترجعون إلى الله، ولا تدرؤون اندركون رمضان الآخر أم لا تدركونه؟ واللیب العاقل من نظر في حاله، وأصلح نفسه قبل أن یفجأه الموت؛ فینقطع عمله.

هذا وصلوا وسلموا على إمام المرسلين، وقائد الغر المحبلين، فقد أمركم الله تعالى بالصلاه والسلام عليه في محكم كتابه حيث قال عز قائلًا عليهما: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلِّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأَمَّهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا صَلَوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا»^(۱).

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت وسلمت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين، وعن أزواجه أمهات المؤمنين، وعن سائر الصحابة أجمعين، وعن المؤمنين والمؤمنات إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم اجعل جمعنا هذا جمعا مرحوما، واجعل تفرقنا من بعده تفرق مغضوما، ولا تدع فينا ولا معنا شقيا ولا محرضا.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقوى والعفاف والغنى.

اللهم إنا نسألك أن ترزق كلا منا لسانا صادقا، وقلبا خاسعا، وعملا صالحا، وعلما نافعا، وإيمانا راسخا، ورزقا حلالا طيبا واسعا، يا ذا الجلال والإكرام. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ووحد الله صفوتهم، وأجمع كلمتهم على الحق، وأكسر

شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيَّدُهُ بِالْحَقِّ وَأَيَّدُهُ بِهِ الْحَقُّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ،
اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيَّدُهُ بِنُورِ حِكْمَتَكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَاكَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ،
وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْيِثُ أَلَا تَكُلُّنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا
شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرَجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
ثِمَارِنَا وَزَرْوُعَنَا وَكُلْ أَرْزَاقَنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عَبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

